٦ ـ ماذا يعنى هذا ؟

بعد أن حلق الفصل السابق فى آفاق الميتافيزيقا ـ ما وراء الطبيعة / الفيزيقا ـ بثقة منهجية واقتدار علمى! يخطو هذا الفصل خطوة أبعد فى الذهاب إلى ما وراء العلم، إنه ببساطة يهدف إثبات وجود الله! أيضاً مستعينا بتطورات العلم المعاصر عموماً والفيزياء النظرية، إذ يسخرها لإثبات أن الكون مخلوق بقصد وتدبير ولإحراز غاية مسبقة. وخصوصاً من أجل ظاهرة الحياة المتطورة الخصيبة، وبمزيد من التخصيص من أجل الحياة الإنسانية التى انبثق عنها الوعى.

الصدفة العمياء أم الخالق المدبر:

أول عبارة فى هذا الفصل يصادر فيها بولكين هورن على أنه يأخذ بالنظرة الدينية إلى العالم، وكل ماتتضمنه من أن هناك معنى للحياة وغرضاً لها يتحقق عبر تجليات التاريخ. وكانت كشوف العلم فى أوقات كثيرة تؤيد هذه النظرة. وقد انتهى نيوتن إلى أن هذا الكم الهائل من الحركة فى النظام الشمسى بكل اختلافاتها، والناجمة جميعها عن قانون بسيط للجاذبية الكونية، لاتعنى إلا تدبيراً إلهياً مُعجزاً. وفى حاشية ملحقة بالطبعة الثانية من كتابه «المبادئ الرياضية للفلسفة الطبيعية» يقول:

«النظام البالغ الروعة للشمس والكواكب والمذنبات، ماكان له أن يصدر إلا عن مشيئة وسلطان لموجود فائق ذى عقل شامل وقوة شاملة.. هذا الموجود الأعلى يحكم كل شىء، ليس بوصفه روحاً للعالم، بل بوصفه إلهاً للجميع».

وحين تبينت الفيزياء أن الكون يعمل فى جانب منه كساعة مهيبة الانتظام، تقدمت علوم الحياة بدورها بأعجوبة أعظم، وهى تخبرنا بأشكال من الحياة تميل هى الأخرى إلى أن تمارس وظائفها وأنشطتها فى بيئتها بهذا الأسلوب نفسه من العمل، أسلوب الساعة المهيبة الدقيقة. لقد صدر عام ١٦٩١ عن عالم كمبردج الطبيعى جون راى J. Ray كتاب واسع الانتشار عنوانه «حكمة الرب كما تتجلى فى أفعال الخلق». وبعده بمائة عام حمل هذه الحجة نفسها كتاب آخر أكثر شهرة لوليام بالى W. Paley وهو «اللاهوت الطبيعى». الكون الذى يسير كالساعة الدقيقة، والكائن الحى الذى تعمل أجهزته كما الساعة الدقيقة، أحدهما أو كلاهما نستدل منه على وجود صانع لهذه الساعة، ذى عقل شامل وغرض محدد ظاهر فيما صنعه أو بالأحرى خلقه. وقد سارت مقالات بريدجوتر Bridgewater إلى مدى أبعد، وهى تحاول تبيان قوة الله وحكمته وخيريته كما تتجلى فى التنوع الرهيب والتشكيل الفريد للمملكة الحيوانية والمملكة النباتية ومملكة المعادن على السواء.

تصدى ديفيد هيوم بالنقد اللاذع لهذا اللاهوت الطبيعى، لافتاً الانتباه إلى مظاهر النقص البادية فى الطبيعة. بيد أن العاصفة القوية هبت فعلاً من كتاب «أصل الأنواع» لتشارلز دارون. فقد بدا أن التغيرات الصغيرة البطيئة المتراكمة خلال عملية الانتخاب الطبيعى طويلة المدى هى السبيل الذى يصل به الكائن الحى إلى الشكل الضرورى للبقاء فى بيئته، بغير الحاجة إلى استحضار قوة إلهية علوية وحكمتها وقدرتها لكى تفسر ما أحرزته الكائنات الحية من استعدادات وقدرات. فالمسألة كلها تجرى على ظهر الأرض فى إطار المحاولة والخطأ والتغير والانتخاب.

بالقطع، لم يعد ممكنا التفكير فى التنوع الرائع للحياة بوصفه خلقاً فجائياً، أو تنفيذاً نهائياً لتصميم إلهى مسبق، تصميم أزلى أبدى. ومع هذا ليس ثمة على وجه الإطلاق حجة تنكر تماماً أى قصد إلهى أو غرض من هذا التطور الحيوى، الذى تتوالى مراحله عبر مسار التاريخ. هذا على الرغم من أن كثيرين من علماء الحياة المعاصرين يميلون لهذا الإنكار، وإلى أن دارون اكتشف عملية آلية عمياء تتم بلا وعى أو قصد أو رؤية للمستقبل، قائلين أنه إذا كان ثمة صانع للساعة الحيوية، فهو صانع أعمى بلا هدف.

بيد أن المسألة أعمق من هذا وذاك ـ كما يوضح بولكين هورن. فأولاً بعض رجال الدين رحبوا بالنظرية التطورية، ورأوها متفقة مع الفهم الصحيح للدين أكثر من نظرية الخلق المكتمل المناقضة لها. وفى واقعة أغفلها التاريخ بشأن تقويم كشف دارون، نجد رجل دين إنجيلياً (بروتستانتياً) معاصراً لدارون، هو تشارلز كنجزلى Ch. Kingsley يرحب بأفكار التطور تحبيذاً للعقيدة الشائعة عن العلم التقدمى، فى مقابل الإظلامية التى مارستها الكنيسة. وكما يقول كنجزلى، تصور العلماء أن التطور الحيوى يعنى التخلص نهائياً من الألوهية وتَدَخُلها فى الطبيعة، وأن المسألة أصبحت اختياراً حاسماً بين بديلين، الأول هو مجال مطلق للمصادفة والأحداث العمياء والثانى هو الله الحى الذى يمارس عمله المحايث فى الكون. بيد أن الله لم يخلق عالماً جاهزاً مكتملاً، لقد صنع شيئاً أكثر حذقاً وبراعة وأكثر إثباتاً لذاته تعالى، عالماً خاضعاً دائماً للتطور. وعلى هذا المنوال نفسه، سار معاصره أبرى مور A. Moore موضحاً أن الخلق الفجائى قد حل محله مفهوم الخلق المستمر. ولاتزال هذه الفكرة تلعب دوراً مهماً فى التأملات الدينية حول الكون التطورى، وتجد تعبيرات شتى خصوصاً فى كتابات تيار دو شاردان وآرثر بيكوك.

وفى المقابل ثمة أولئك الدين يؤكدون على أن التطور أعمى، ويركزون الانتباه على عرضية لامراء فيها، كما لو كانت هى كل مافى الأمر. ولكن ضرورات البيئة هى التى

تفتح مجالات المصادفة. وتلك المجالات الاحتمالية التى يسمونها المصادفة يمكن ـ فى المقابل ـ أن تكشف لنا عن إمكانيات خصيبة تطرحها القوانين الضرورية للطبيعة. إن التطور يعتمد على التفاعل بين الصدفة والضرورة، وإنه لحبث حقاً ألا نأخذ فى اعتبارنا زاوية تعنى أن مايحدث خاضع لقانون.

خصوبة هذا الكون :

إن أروع مافى مسار هذا الكون هو تشكُّل كوكب الأرض الذى تحول حديثاً إلى موطن لكائنات أصبحت واعية بذاتها، فقط منذ أكثر قليلاً من ثلاثة بلايين عام. وفيما لايزيد على بضعة مئات من ألوف السنين، تطور المخ الإنسانى ليغدو أعقد نظام فيزيقى وأعجب مايمكن أن يصادفنا فى هذا الكون.

وفى حدود معرفتنا الحالية لايمكن فض سر المخ البشرى وقصته فقط بواسطة قوانين الوراثة. إن المقولات التطورية لاتكفى البتة لتفسير ظاهرة الدماغ، هذا مايسلم به رهط من العلماء المعاصرين، حتى من أولئك غير المعنيين إطلاقاً بالأبعاد الدينية، إنهم يبحثون عن مبادئ تنظيمية أخرى عاملة وفاعلة.

من ثم كان بولكين هورن شديد التعاطف مع الاعتقاد بأن خصوبة الكون وخصوبة التاريخ على الأرض تجعل من المعقول تماماً تأييد التيار الذى يرى المقولات التطورية تعمل فى إطار قوانين غائية للطبيعة، وأن هذه القوانين الغائية ـ أى افتراض أن الكون أو الطبيعة تعمل تبعاً لقوانين تجعلها تسير نحو تحقيق غاية مسبقة مقصودة ـ محتملة تماماً، يتعاطف أيضاً وبشدة مع لاهوت الطبيعة الذى يراها خلقاً للرب. وكثيراً ما نفكر فى كيفية إفساح المجال للتأثيرات الغائية بغير أن ينكر معارفنا العلمية الراهنة عن عمليات الطبيعة. إن الأفكار الداروينية لاتعطى إلا استبصاراً جزئياً بالتاريخ التطورى لعالم فائق الخصوبة، وهى بالتأكيد لاتعطينا القصة الكاملة. ويمكننا الآن أن نبحث عن آيات هذه الخصوبة فى استبصارات علمية أخرى.

المعادلات الجميلة :

أولى تلك الاستبصارات هى أن العلم ممكن أصلاً لأن العالم على درجة عالية من المعقولية، قابل للتعقل بصورة واضحة. هذه المعقولية ملموسة فى عالم الحياة اليومية، فلو لم نخرج منها بتعميمات من قبيل «هذا النبات سام» «السقوط من على منحدر صخرى خطير» لما أمكنا البقاء على قيد الحياة أصلاً، لكن التعقل فى العلم يفوق بكثير جداً التعقل المطلوب لممارسة الحياة اليومية. وهذا يتبدى بوضوح فى ضرورة اللغة الرياضية لفك ألغاز هذا الوجود.

لقد أمضى ديراك حياته باحثاً عن معادلات جميلة، قد يبدو هذا غير مفهوم للعامة، لكن بالنسبة للمتخصصين فى الرياضيات، فإن الجمال الرياضى خاصة مدركة

تماماً، ويكمن جوهره فى اقتصاد معين فى التفكير وأناقة فى التعبير، تجعل الرياضيات متصفة بأنها تفكير عميق. وذات مرة قال ديراك إن الجمال فى معادلة الفيزياء الرياضية أهم من توافقها مع التجربة.

بالطبع لايعنى هذا أن التوافق التجريبى غير ذى أهمية. لكن الاختلاف مع الوقائع التجريبية له أكثر من طريقة لتلافيه أو لمواجهته كما هو معروف ومطروح فى نظريات المنهج التجريبى. أما فقدان الجمال الرياضى فلاسبيل إلى تعويضه ولايمكن مواربته. وفى أكثر من مرة نكتشف أن هذا الجمال الرياضى هو ذاته الذى يجعل المعادلة متوافقة مع الطبيعة.

وفضلاً عن هذا، فإن الرياضيات تنشأ أصلاً عن استكشاف عقلانى طليق للذهن البشرى، لاتحكمه أية محددات خارجية، فقط منطقة الرياضى الخاص به، أفلا يعنى هذا أن عقولنا قد قُدَّت على قدٍّ التوافق مع بنية الكون الذى استطاعت أن تتوغل فى أعمق أسراره.

وذات مرة قال آينشتين إن الشيء الوحيد الذى لايمكن تصوره فى الكون هو كيف أنه قابل هكذا للتصور! إن الكون يبدو ذا شفافية أمام العقل. عقلانية الجمال وعقلانية الشفافية فى العالم الفيزيقى تجعلنا نتلمس خيوط معنى عميق مغزول فى قماشة العلم التجريبى. لذا يتحدث فيزيائيون عظام أمثال ستيفن هوكنج عن قراءة لعقل الله فى الأنظمة الرياضية للعالم الفيزيقى. ومع كل هذا تظل تجليات العقل الإلهى أبعد كثيراً من كل ماتستطيع الفيزياء أن تكتشفه.

المبدأ الأناسى :
Anthropic Principle

المبدأ الأُناسى يعنى أن الكون على ماهو عليه ليلائم وجود الإنسان. ولو لم يكن هكذا لما وجد الإنسان ولا كان هنالك العلم. وبمناقشته نتلمس استبصاراً علمياً آخر بخصوبة الكون وغائيته. ذلك أن الخيال العلمى يستطيع أن يتصور كوناً آخر كهذا الكون، ولكن يختلف عنه فى بعض الجوانب الفيزيائية، كأن تكون القوة الكهرومغناطيسية أقوى أو القوى النووية أضعف، سوف يكون البشر فيه مختلفين، أكثر انبعاجاً أو أقل اكتنازاً، أو مثلاً على شاكلة الإنسان الأخضر صغير الحجم. وبالتحليل الدقيق يوضح المؤلف أن الاحتمالات العلمية ترجح أن التاريخ التطورى فى هذا الكون سيسفر عن أشكال أخرى من الحياة خاصة به، وليست البتة على شاكلة هذا الإنسان العاقل، أى قصارى مانتوقعه هو حياة ما محدودة التنوع ودون الوعى، حياة بلاخصوبة. والواقع أن كوناً من هذا النمط سيكون مملاً ومضجراً، ويوضح أن قوانين نظرية التطور فى حد ذاتها يستحيل أن تحل محل الإله الخالق القدير، لكى يكون أمامنا كل هذا التعقيد وتلك الخصوبة التى تمثل فى تكوين الإنسان. إن الأدوار

المتداخلة للصدفة والضرورة تتطلب بالضرورة شكلاً من نوع خاص وخصائص فيزيائية معينة لكى ينبثق أى شىء يستحق أن يسمى «الحياة» فعلاً. هذه النتيجة المذهلة هى مانسميه بالمبدأ الأناسى.

تلك الخصائص الضرورية جمة، نشير الآن إلى واحد منها. وهو أن العالم ليس بالغ الصلابة، وإلا لما كانت هناك التغيرات التى نريد التطور ليفسرها. وهو بالمثل ليس بالغ الليونة وإلالما احتفظ بالأشكال الجديدة للحياة. إن الكون مركب جدلى من الليونة والصلابة.. من الضرورة والصدفة. وقوانين الكوانتم تعطينا أسساً لتفسير التفاعل بينهما، والذى يبدو جوهرياً من أجل التطور الخصيب.

ثم يغوص المؤلف بعد ذلك فى أعماق فيزيائية دقيقة، بكل ما يملكه من تخصص فى هذا العلم، ليثبت بالتفاصيل المسهبة ذلك التوافق الرائع فى الكون وتوازناته المبهرة التى تجعله «كوزموس» منتظماً مهيئاً للحياة ولتطورها، وذلك لينتهى إلى الخلق والتدبير الإلهيين. وأول مايتوقف عنده الثوابت الكونية التى تناظر حداً فى معادلات المجال فى النسبية العامة، التى هى النظرية المعاصرة للجاذبية، وكيف أن قيمتها الصفرية فى عالمنا ضرورية لكى تستمر الحياة والتطور. وأيضاً الكهرومغناطيسية، وكيف أن الروابط الكيميائية تتطلب ألا تكون هذه القوة أضعف مماهى عليه، وإذا كانت أقوى سوف تتباطأ معدلات التفاعلات الكيميائية ويتوقف التطور... وكيف أن الجليد أخف كثافة من الماء ليطفو الصقيع على السطح وتستطيع الكائنات المائية مواصلة الحياة فى الأعماق. وعلى هذا المنوال يناقش التوافق الرائع فى قوة الجاذبية وفى القوة النووية القوية والقوة النووية الضعيفة..

وفى النهاية يخلص إلى أن الكون انتظم فى إطار هذه التوازنات الرائعة عن تدبير وقصد، لكى يكون موطناً ملائماً للحياة، ولوجود هذا الإنسان فيه.

ويستأنف محاولاته فى الاستفادة من كل الأبعاد العلمية فى محاولة إثبات هذا، فيستفيد أيضاً من نظريات علم الكونيات الحديث بشأن عمر الكون وحجمه وحسابات الأوزان الذرية وكتل الجسيمات الأولية... الخ، ويوضح بالتفصيلات المسهبة كيف أن كل هذا قد قُدِّ بدقة بالغة على هذه الصورة لكى يتناسب الكون مع وجود الحياة على الأرض ووجود الإنسان فيها، وأى اختلاف يعنى استحالة أن يحدث هذا.

والسؤال الآن ما الذى نتعلمه من كل هذا؟ يلاحظ بولكين هورن أن البعض قد يقولون: لاشىء، ونحن لانعرف إلا كوناً واحداً وقد وجدناه هكذا. ولكن صمم

الحجة كان قائماً منذ البداية على أننا نستطيع أن نتصور أكواناً أخرى كهذا الكون، وكلما بحثنا فى التفاصيل الفيزيائية، كنا ننتهى من كل جزئية إلى ضرورة أن تطابق نظيرتها فى كوننا لكى يكون هناك حياة وخصوبة. فهل يمكن بعد كل هذا أن تكون الحياة على سطح الأرض محض مصادفة عمياء وليست تدبيراً إلهياً مقصوداً.

لكن قد يقال إن المبدأ الأناسى هذا يجعلنا نلف وندور فى دائرة مفرغة من تحصيلات الحاصل، ذلك أن ماننتهى إليه من توافقات رائعة يستلزمها تطور الحياة، هى فى الواقع ليست تلبية لمقتضيات المبدأ الأناسى، بل مجرد نتائج تلزم منطقياً عن نظرية فيزيائية عميقة.

ولتفنيد هذه الحجة تُناقش مقولة الانفجار الكبير Big Bang وتمدد الكون. فمن ضرورات المبدأ الأناسى أن الكون ـ ومنذ أولى مراحله المبكرة ـ لابد وأن يتميز بتوازن دقيق جداً بين الآثار التفجرية للانفجار الكبير التى تقذف المادة بعيداً متناثرة فى الفضاء الشاسع، وبين قوة الجاذبية التى تجذب المادة معاً فى كل متناسق. قوة التفجر وقوة الجذب إذا لم تكونا منتظمتين فى عملهما معاً ومتوافقتين فى تأثيراتهما المتبادلة، فسرعان ماسيصبح الكون أضعف وأرق من أن يحدث فيه أى شىء، أو أنه سينهار تواً من جديد قبل أن يحدث فيه أى شىء ذى أهمية. وحسابات النظريات الفيزيائية المعاصرة تنتهى إلى أن التوازن الدقيق بين قوتى التفجر والجاذبية راح ينتظم منذ أن بدأ الكون يتمدد وعمره 10^{-35} ثانية.

وبالطبع ليس من الضرورى أن يكون كل كون قابل للتعقل هو كون يتمدد، فاحتمالية التمدد ذاتها تتطلب قوانين فيزيائية من شكل معين، وأيضاً ليس الكون مفترضاً قبلاً ليكون خاضعاً للكوانتم وللجاذبية؛ بيد أنها جميعاً وجوه لطبيعة الكون تلعب دورها كأساس فيزيائى لتطور الحياة وللخصوبة وللوعى، أى إنها ضرورية للمبدأ الأناسى وكافية له.

المناقشة السابقة للمبدأ لم تأخذ فى اعتبارها أن الكربون عنصر أساسى للحياة، بمعية ماينتج عن هذا من خصائص معينة للمادة. وإذا أردنا أن ننفى احتمالية الحياة فى أى كون آخر، يجب أن نناقش دور الكربون، فماذا لو أمكن وجود حياة مختلفة دون الكربون؟

بيد أن شيئاً ما كالوعى يتطلب سياقاً فيزيقيًّا بالغ التعقيد، ربما كان عدد الخلايا العصبية فى المخ بضخامة عدد النجوم فى درب التبانة(10^{11})، وتصور مثل هذا فى إطار مختلف كمن يكتب شيكاً على بياض ليُسحب من رصيد غير معلوم؛ فمن

المستحيل أن نحدد ظروفاً مختلفة اختلافاً جذرياً لدرجة عدم توافر الكربون ذاته، ويمكن أن تنشأ عنها أنظمة حيوية مماثلة فى درجة التعقيد.

ومازال علينا استئناف المسير لتحديد مغزى هذه الاستبصارات العلمية. فهل يمكن أن تؤدى إلى مانسميه المبدأ الأناسى الضعيف»، ومنطوقه: وجود الحياة الإنسانية الواعية يفرض ظروفاً معينة فى الكون، ونحن نلاحظ أنها يجب أن تتسق مع وجودنا فيه لكى نمارس الملاحظة، فمثلاً الحياة التطورية القائمة على أساس الكربون تشترط أن يكون الكون قديماً بما يكفى لحدوث كل ذلك التطور. ويوضح بولكين هورن أن هذا المبدأ «الضعيف» تحصيل حاصل، فهو فى صلبه كالآتى: نحن هنا وكذلك الأشياء ليكون كل هذا ممكناً. وليس الأمر تحصيلاً لحاصل فمحض شظية من هذا الكون المعقول تثبت أنه يمكن أن يكون موطناً للكائنات العاقلة.

وهذا يؤدى بنا إلى طرح المبدأ الأناسى «القوى»، ومنطوقه: يجب أن يكون للكون هذه الخصائص التى يتصف بها والتى تسمح للحياة بأن تتطور داخله فى مرحلة معينة من تاريخه. والمبدأ بهذه الصورة ينص على الغائية صراحة، لاسيما فى افتراضه أن الكون «يجب» أن يكون هكذا.

التقاليد الإنجليزية العلمية العريقة لاتسمح كثيراً بفرض «الوجوب» على الكون. لذلك يقول بولكين هورن إن ميراثه الإنجليزى يجعله ينتهى إلى صورة معتدلة للمبدأ الأناسى، تنص على: «ملاحظة الخصوبة العارضة فى الكون بوصفها واقعة مهمة ومثيرة تستدعى تفسيراً».

إن تطور الحياة الواعية هو أعظم وأهم ماحدث طوال تاريخ الكون، ويحق لنا افتراض أنها تستلزم بالضرورة كوناً بالغ الخصوبة كهذا الكون لكى تكون ممكنة.

وإنه لمن الغريب حقاً أن يقاوم بعض العلماء هذا البحث عن فهم أرحب، فيرفضون المبدأ الأناسى بدعوى أنه غير قابل للتكذيب التجريبى؛ ممايعنى أنه ليس البتة مبدأ علمياً؛ كما علمنا كارل بوبر. فلماذا يقبلون - مثلاً - نظرية التطور، التى هى مجرد برنامج بحث ممتاز وفعال فى علوم الحياة، ولاتقبل البتة التكذيب التجريبى؟ فما الواقعة التجريبية التى يمكن أن تفندها وتؤدى بنا إلى رفضها؟!! أما إذا رفضوا المبدأ الأناسى لأنه نافلة لاحاجة للعلم به، فإنهم يرفضون أن يرفعوا أعينهم ليروا الأفق الرحيب الذى يكلل المعرفة العلمية. فلماذا يلزمون أنفسهم بنظرة لا طائل من ورائها إلا العقم والإجداب.

إن السؤال عن مغزى المبدأ الأناسى ميتافيزيقا علمية، فهو ينشأ عن استبصار علمى أصيل.. عن علم الكونيات (الكوزمولوجيا Cosmology) بيد أنه يذهب إلى ماوراء

المجالات التى يستطيع العلم بمفرده أن يفتى فيها. نحن هنا لسنا معنيين بالفيزيقا، بل بالميتافيزيقا. وفى هذا يمكن أن نرفض المبدأ الأناسى، تماماً كما يمكن أن نبحث بواسطته عن فهم أعمق وأرحب.

والآن فإن صورة المبدأ الأناسى المعتدلة التى انتهينا إليها تعنى أن نبحث عن تفسير لهذه الخصوبة العارضة التى أنتجت الحياة والوعى. والتفسير إما فيزيقى وإما ميتافيزيقى.

التفسير الفيزيقى يتمثل فى فئة من القوانين الفيزيائية العاملة تلقائياً فى الكون منذ الانفجار الكبير وتمدده، يطرح بولكين هورن هذه القوانين ويناقشها موضحاً قصوراتها وأنها جميعاً فرضية وتتصور الكون بوصفه مشروعاً تحت التأسيس كلوحة فسيفساء تتخلق قطعة قطعة. والنقطة المحورية أنها قابلة للتطبيق على أكوان شتى، أو على مجموعة من الأكوان المتجاورة. وهم يقرون باحتمالية هذه الأكوان الشتى. وتلك فرضية ـ وإن أيدها أحد تأويلات ميكانيكا الكوانتم، فهى تعتمد على عوالم ليس لدينا معرفة مباشرة بوجودها الحقيقى..

وفى كل حال يستحيل أن يكون التفسير فيزيقياً تماماً، ولا مندوحة عن الالتجاء إلى الميتافيزيقا.

ومادامت المسألة ميتافيزيقية فإن التفسير الذى يفرض نفسه هو الخالق الأعظم وقد خلق الكون عن قصد وتدبر، بإرادة ومشيئة وقدرة، ليكون على هذه الصورة الملائمة لوجود الحياة والإنسان والوعى. تلك هى النتيجة التى تلزم بالضرورة عن المبدأ الأناسى.

إنه لاهوت حديث، لاينافس العلم ولايحل محله بتفسير آخر للكون، بل هو متمم للعلم ويهب معنى عميقاً للقوانين الفيزيائية البارعة، وهى تضع اليد على التوافقات الرائعة فى الكون، التى انبثق الوعى فى إطارها وعلى أساس منها. إن العلم ممكن والتاريخ الكونى خصيب لأن العالم مخلوق؛ فالله موجود، وقد خلق الكون عن قصد وغاية.